السَّلالم الحجاجية في شعر أَحمد الوائليّ (×)

الأُستاذ الدكتور

عايد جدوع حنون

صلاح جباري شناوة العبودي

جامعة المثنى - كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

تُعدُّ السَّلالِم الحجاجية استراتيجية خطابية يعتمدها المتكلمِ من أَجل الوصول إلى غايته الحجاجية المتمثلة بالإقتناع، والسلالم الحجاجية مؤشر واضح على مرونة اللغة، وقوة المنطق الطبيعي الذي يستطيع المتكلم من خلاله إنجاز الإقتناع، من دون اللجوء إلى أَساليب المنطق الرياضي البرهاني، فالسياق، والكفايات الثقافية، والأَساليب اللغوية المتمثلة بالاستعمالات النحوية والصرفية، والبلاغية، وكل الظروف المحيطة بالخطاب يمكن للمتكلم أَنْ يستثمرها في صورة حُجج تقود إلى النتيجة التي يريد إيصالها إلى المتلقي.

Abstract

The stairs orbital rhetorical strategy adopted by the speaker in order to access than orbital of conviction, stairs orbital clear indication of the flexibility of the language, the power of the natural logic that can speaker through the completion of persuasion, without resorting to mathematical logic Burhani methods, The context, cultural competency, and methods linguistic uses of syntactic and morphological, and rhetoric, and all the circumstances surrounding the speech of the speaker can be invested in the form of arguments leading to the conclusion that he wants to deliver it to the recipient

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمدُ لله ربِّ العالمين وصلى الله على خيرته من خلقه، وعلى آله الطيبين وسلم تسليماً

وبعد:

فقد شكلت السلالم الحجاجية ظاهرة مميزة في شعر الوائليّ، وليس هذا غريباً على شخص كتبت له الحياة أَنْ يصاحب منبر الخطابة منذ نعومة أَظفاره، إذ يقتضي دور الخطيب أَنْ يكون ملماً بوسائل الإقناع والتأثير، وهذا ما جعل خطابه الشعري مكتنز بوسائل الإقناع المتنوعة، وكانت السلالم الحجاجية من تلك الوسائل، إنَّ تسليط الضوء على هذه الوسيلة الحجاجية قاد الباحث إلى تقسيم بحثه على وفق النحو الآتي: استهل البحث تعريف لمفهوم السلالم الحجاجية، بعد المقدمة أوضح فيها مفهوم السلالم، وتوضيح لبعض استعمالاتها في الخطاب الطبيعي، ثم تلا ذلك تعريف بالقوة الحجاجية، والارتقاء الحجاجي، بعد ذلك استعرض البحث صور الحُجج في الخطاب ضمن قوانين السلم الحجاجي، بعد ذلك استعرض البحث صور السلم الحجاجي في شعر الوائليّ التي تمثلت في صيغة أَفعل للتفضيل، ثُّم الحجج التي تتضمن روابط مدرجة للحجج القوية، ودورها في ارتقاء الخطاب الحجاجي، بعد ذلك استعرض البحث إيراد الحجج بالاساليب شبه المنطقية ومنها القياس الضمني، ثُّم جاءت هوامش البحث، وتلتها قائمة بروافد البحث.

(*) بحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة (الحِجاج في شعر أَحمد الوائليّ) للطالب صلاح جباري شناوة

مفهوم السلالم الحجاجية:

يرتبط مفهوم السلم الحجاجي عند (ديكرو) بالنتيجة المستخلصة من الحجج المُقَدّمة فالمتكلم يقدم (ح1)، و(ح2) بوصفهما حُجتين يؤديان إلى نتيجة (ن)[1]، وتتدرج هذه الحجج تبعاً لقوتها، من الحجة الضعيفة إلى القوية إلى الأكثر قوةً؛ لذلك يُعَرّف السلم الحجاجي بأَنَّهُ «علاقةٌ تراتبية للحجج »[2]، وما يحدد هذه التراتُبية للحجج هو السياقِ الخطابي الذي تندرجُ فيه الحُجج، والقصد الذي يبتغي المتكلم الوصول إليه؛ لأنّ السياق والقصد يُلزمان المتكلم بمراعاة ظروف التلفظ، ومدى استقبال المتلقي لهذه الحجج.

والحجج التي تتجه نحو نتيجة واحدة لاتتعدد فحسب، بل إنَّها تتفاوت في قوتها التدليلية ويعلو بعضها على بعض، وهذا التفاوت في قوة الحجة عائدٌ إلى السلم الحجاجي[3] كقولنا: (نجح عليٌّ في مادة الفيزياء بتفوق)، و(نجح عليٌّ في كلِّ المواد الدراسية بتفوق) فيكون ترتيب هذه الحجج في السلم الحجاجي ما يأتي:

ن (عليٌّ طالبٌ متفوق)

ح2 – (نجح عليٌّ في كل المواد الدراسية)

ح1 – (نجح عليٌّ في مادة الفيزياء)

يتضح من المخطط السلمي للحجج أَنَّ الحجة كلَّما كانت أقوى أقتربت أكثر من النتيجة والحجتان تتوجهان لنتيجة واحدة هي: (عليٌّ طالبٌ متفوق).

إنَّ غيابَ مصطلحِ السلم الحجاجي لايعني أَنَّ العمل به كان غائباً، إذ يلحظ المتتبع لجهود القدماء وجود تفاصيل السلم الحجاجي، وتطبيقاته في التراث العربي، ويبدو ذلك واضحاً عند المتكلمين، و المفسرين، إذ لم يفت علماء التفسير الأوائلِ ما لتسلسل الحجج تبعاً لقوتها من أهمية في تدرج الحوار، وإثبات الرأي الصائب، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الزمخشري(ت538ه) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[البقرة: 258] قال الزمخشريّ: «و كان الاعتراض عَتيداً، ولكن إبراهيم لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه، ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شيء، وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة»[4]، نلحظُ أَنَّ الزمخشري جعل خطابَ نبي الله أبراهيمَ (عليه السلام) في قبالة خطاب النمرود، وقد أرتقت حُجج النبي (عليه السلام) قوةً؛ لأنها مسددةٌ من الله تعالى، وهي أقرب إلى الواقع، ويمكن أن نمثلَ لها بالسلم الآتي:

ن(بُهت الذي كفر)

ن(توقف، وعجز)

ج – (ربيّ يأتي بالشمس من المشرق، فأتِ بها من المغرب)

ب – أنا أُميت ب – ربيّ يُميت

أنا أُحي أ – ربيّ يُحيّ

(حُجج النمروذ) (حُجج ابراهيم عليه

السلام)

يلحظ من الآية الكريمة أنَّ محور الخطاب كان في إثبات الربوبية لله تبارك وتعالى، وقد قابل النمرود الحجة بالحجة في بدأ الأمر، لكنَّهُ عجز عن مجاراة الحجة الثالثة؛ لأنَّه أمرٌ لاسبيل إليه؛ فبُهت وسكت عاجزاً، قال ابن كثير(ت774ه):«فلما علم عجزه وانقطاعه، وَأَنَّهُ لَا يقدرُ على المكابرة في هَذا المَقام بهت أَي: أُخرس فَلَا يتَكلم، وَقَامت عَليه الحجَّة»[5] وهذا أمرٌ لابدّ منه لأَنَّ حُجَّةَ النبي كانتَ أَقوى، وأَشد عليه، وهي دليلٌ على وجود رؤية حجاجية تمثلت بالسلم الحجاجي مطابقة لرؤية نظرية الحجاج في العصر الحديث.

القوة الحجاجية:

يرى.د.طه عبد الرحمن أَنَّ العلاقة التراتبية للحجج داخل السلم الحجاجي محكومة بشرطين أساسيين هما.

«1 - كُلُّ قولٍ يقعُ في مرتبةٍ ما من السُّلم يلزم عنه ما يقعُ تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

2 - كلُّ قول كان في السلم دليل على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه»[6].

وهذان الشرطان فيما أرى يتعلقان بالقوة الحجاجية التي تحكم تسلل الحجج داخل الخطاب الحجاجي، ويتصل مفهوم القوة الحجاجية بالسلم الحجاجي، من حيث هو علاقة تراتبية للحجج، وهذه العلاقة تُبنى على أساس التفاوت في درجة القوة لكلِّ حُجَّة يأتي بها المتكلم[7] والحديث هنا عن الخطاب اللغوي الطبيعي الذي يعتمد على تقديم حجة معينة، ثم يقدمُ حُجةً أُخرى، إن اقتضى المقام ذلك، وهو بذلك يخالف الخطاب البرهاني القائم على حجج قد لاتقبل الشك، والجدل؛ لأنَّها قد تُقنع المُتلقي من أول حُجةٍ يدلي بها المتكلم، وهذا الأمر جعل من الخطاباتِ البرهانية خطابات متساوية، ومتكافئة في القوة، خلافاً للخطاب اللغوي الطبيعي الذي تتراوح حججه بين الضعف، والقوة مراعيةً بذلك سياق التلفظ، واستقبال المتلقي للحجج وهذا ما جعل الخطاب اللغوي يخضع لما يُسمى«إعادة البناء الموجه نحو المتلقي»[8] أي إعادة عرض الحجة على المتلقي بتغير بناء الحجة أُسلوبياً، أوبلاغياً، أو تداولياً بما يتناسب مع المقام، وتقبل المتلقي؛ لأَنَّ الحجاج اللغوي لاإلزام فيه؛ ولأَنَّهُ يعتمد على الملاءمة، وينطلق الخطاب الحجاجي من مبدأ إرادة إقناع المتلقي، فيعتمد على التدرج في قوة كلِّ حجة، حتى يصلَ بهذا التدرج إلى ما يُقنِعُ به المُخاطَبَ، والاعتماد على الحجة الأقوى يعود إلى ما يسمى بالقوة الحجاجية، ومن أمثلة التدرج الحجاجي في شعر الوائليّ قوله:(البحر الخفيف)

خَلَقَ اللهُ رَحمَةً وَجَمالاً
وَجَلالاً فَصبَّها في سَفيرهِ
وَتَسامى بِصُنْعهِ وَالنُبواتِ
نَسيجٌ مُمَيَّزٌ بِحَريرهِ
وَبَراهُ لِيَمسَحَ الشَرَّ بالخَيرِ
فَكانَ المَسيحُ في تَبشيرهِ [9]

هذه الأبيات من قصيدة قالها في ميلادِ روح الله، وكلمته، ونبيه عيسى بن مريم (عليه السلام)، وما يُلحظُ في هذهِ الأبيات أَنَّها حُجَجٌ مُتدرِّجة على وفق السلم الحجاجي، وقد ارتبطت جميعها بالنتيجةِ المُصرَّحِ بها في النهاية، ويمكن

أنْ توضع في السلم الحجاجي تبعاً لقوة كلِ حُجَةٍ منها كمايأتي:

(ن) - (براه ليَمسَحَ الشَّرَ بالخَيرِ فكان المَسيحَ في تَبشيرِه)

ح2 - (تَسامى بِصُنْعِه وَالنُبوا تِ نَسيجٌ مُمَيّزٌ بحريرِه)

ح1 - (خَلَقَ اللهُ رَحمَةً وَجَمالاً وَجَلالاً فَصبَّها في سَفيرِه)

لقد جاءت الحجج متدرجة بحسب قوتها الحجاجية، فتبوأت كلٌ حُجَّة مرتبتها التي تناسبها في السلم الحجاجي، وهذا لايعني أنَّ الخطاب جاءَ بحُجَجٍ ضعيفة، فكلّ الحجج الواردة هي حججٌ قوية، لكنّها تتفاوت في قوتها، فالحجة (ح1) أخذت المرتبة الأُولى من السلم الحجاجي

أمـا الحجة (ح2)، وهي الأكثر قوة من سابقتها، فقد أخذتْ المرتبة الثانية من السلم تبعاً لقوتها، إذ إنَّها أقوى من سابقتها فكانت الأقرب إلى النتيجة المُصرح بها في الخطاب وأخذتْ موضعها في قمة السلم الحجاجي، وإذا عدنا إلى الشاهد سيتضحُ أنَّ الحُجَّتين تمثل ما يأتي: (ح1) المسيح(عليه السلام) سفير الرحمة (ح2) خلقه الله ليتسامى بالإنسان (ن) مجيء المسيح رحمة من الله إلى عباده؛ ليبدل الشرور خيراً.

يتضح ممّا تقدم أنَّ القوة الحجاجية مقوم أساسي تتجلى به درجة الحجاج، ومدى فعاليته في إنجاز التأثير، والإقناع للوصول إلى النتائج، والقوة الحجاجية تُظهرُ التدرج التصاعدي الذي تتخذه الحجج في تدعيمها للنتيجة المقصودة[10].

قوانين السلم الحجاجي:

يمثل قانون السلم الحجاجي الصور التي تتشكل بها الحُجج في الخطاب الطبيعي ويخضع الخطاب الحجاجي بحسب ما يتضمنه من حُجج إلى تراتبية سلمية تتخذ ثلاثة أشكال[11]، تمثل هذه الاشكال تدرج الحجج في الخطاب بحسب قوتها، وبحسب ترتيب المتكلم لها، ومقصده من وراء ذلك، وتكون صور الحجج في داخل السلم الحجاجي بالصور الآتية:

1 - الحجاج التصاعدي: في هذا النمط تتخذ الحُجج مساراً تصاعدياً [×] إذ يبدأ منشيء الخطاب بإيراد الحجة الضعيفة، ثُمّ الحجة القوية، ثُمّ الأقوى[12]، وتتخذُ الحُجج وضعاً خاصاً يمكن أن يصنف على أنَّهُ نوع من المؤكدات في الخطاب؛ لأنَّ المُحاجِج حين يستعمل هذا النوع من الحجاج فإنَّه يَسعى إلى ترسيخ دلالة كل حُجة في ذهن المتلقي، ما يصعبُ على المتلقي تجاهلها، أو نسيانها[13]، ومثال ذلك:

ح2 - (لأنه فاق جميع شعراء عصره)

ح1 - (ليس المتنبي شاعراً عادياً)

ومن ذلك قول الأفوه الأودي:(البحر البسيط)

لا يَرشُدون وَلَن يَرعوا لمُرشدهم

فَالغَيُّ منهُم مَعاً وَالجَهلُ ميعادُ[14].

نلحظ من المثالين السابقين أنَّ الحُجة الأُولى تمثل إخباراً عن شيء، ولتتأكد هذه الحُجة يعمد منشيء الخطاب إلى تعزيزها، وتأكيدها بحُجة ثانية، والحُجة الثانية هي التي تثبت سمة التصاعد، لأنّها أقوى من الحُجة الأُولى، فالمثال الأول يرى أنَّ المتنبي شاعرٌ مميزٌ، ثم يدعِّم هذه الحُجة بدليل،

أو حجة أقوى تعلل ذلك الرأي، وهي تفوقه على أقرانه من الشعراء. أمّا الأفوه الأودي فيرى أنّ رفض قومه للنُصح والتزامهم بهذا الرفض، ناتج عن جهلهم وغيهم، فما يلحظ في عجز البيت أنَّه حُجة تعليلية، وهي أقوى من سابقتها؛ لذلك ترتقي بالخطاب درجة في السلم، وردت الحجج في صورة سلم تصاعدي في شعر الوائليّ في مائة وسبعة وأربعين موضعاً[15] من ذلك قوله:(البحر الخفيف)

مَهدَ عيسى رَزِيةٌ حينَ تُسبى
عند رجسٍ وَأنتَ للطُّهرِ مَهدُ
ويُداسُ القرآنُ فَوقَكَ والإنجيلُ
والضاربون عجلٌ وَقردُ
صَمَتَ المُصحَفُ المُرتَّلُ
والقُدّاسُ والقدسُ لارحالٌ تُشَدُّ
حَزِنَ ابن البَتولِ عيسى لقتلى
رُضَّعٍ عندَ حَلمَةِ الثدي أُردوا
وشبابٌ براعمٌ وصَبايا
زَفَّهُم في مواكبِ العُرسِ لَحدُ
وأُعدَّ الرّيحانُ لالسَريرِ العُرسِ
بَل للنَعشِ سوّاهُ وَعدُ[16]

يتضمن هذا الخطاب مجموعة من الحُجج سِيقَت من أجل بيانِ العدوان الصهيوني في أرض فلسطين، وقتلهم للأَبرياء، وانتهاك حرمة المسجد الأقصى، إذ عمدَ الشاعر إلى ترتيب هذه الحُجج بحسب قوتها، فلكلِّ حُجَّة أثر أقوى من سابقتها، فكان ترتيبها في السلم على النحو الآتي:

ن – (إنَّ الصهاينة مجرمون، ولايبالون بأَي مقدس)

ح4 – (حَزِنَ ابن البَتولِ عيسى لقتلى رُضَّعٍ عِندَ حَلمَةِ الثدي أُردوا)

ح3 – (صَمَتَ المُصحَفُ المُرتَّلُ والقُدّاسُ والقدسُ لارحالٌ تُشَدُّ)

ح2 – (ويُداسُ القرآنُ فَوقَكَ والإنجيلُ والضاربون عجلٌ وَقردُ)

ح1 – (مَهدَ عيسى رَزِيةٌ حينَ تُسبى عند رِجسٍ وَأَنتَ للطُّهرِ مَهدُ)

يُلحَظُ أَنَّ الحُجج التي ذكرها الوائليّ لم تندرج في الخطاب بشكلٍ عشوائي، بل سِيقت لتوضح حقيقة الصهاينة، ولكل حُجة منها نتيجة ضمنية، وتشترك كل هذه الحُجج في نتيجة عامة وهي أنَّ إرهاب الصهاينة في أرض فلسطين اتخذ صوراً شتى من دون رادع يردعه. وبالرجوع إلى الحُجة الأُولى نجدُ أنَّها تشير إلى وقوع (كنيسة المهد) في يد الصهاينة، وهي معلم حضاري من معالم مدينة القدس، ولها في نفوس المسيحيين من القداسة، والقيمة الروحية مالها، ثم الحُجة الثانية التي تشير إلى إهانة الصهاينة للكتابين المقدسين لدى الفريقين المسلمين، والمسيحيين وهما القرآن، والإنجيل، والذين قاموا بهذا الفعل هم من شرِّ خلق الله، الذين لُعنوا في كتابه وهم(عِجلٌ وَقِردُ) إشارة إلى اليهود أي الذين عَبدوا العِجل والذين مُسِخوا قِردة، وخنازير.

أمّاالحُجة الثالثة فتشير إلى أَن الصهاينة منعوا المسلمينَ من إقامة الصلاة في المسجد الأقصى، ومنعوا المسيحيين من إقامة القُداس،

ومما يُلحظ أنَّ أحد خصائص هذا النمط من السلم الحجاجي أنَّهُ يُبنى على حُجة محورية، وهي هنا احتلال الصهاينة لمدينة القدس، وما بها من مقدسات، ويؤدي نقض، أو نفي هذه الحُجة إلى نفي مدلول الخطاب برمته، أي إذا كانت هناك حُجة تقول إنَّ الصهاينة لم يدخلوا مدينة القدس، فإنَّ دلالة الخطاب ستنتفي ومن خصائصه أنَّ الحجج يستلزم بعضها بعضاً فكل حُجة في الخطاب تستلزم ما قبلها[17]، فإهانة الكتب المقدسة يستلزم أنَّهم دخلوا المقدسات عُنوةً وبقوة السلاح، ومنع المسلمين والمسيحيين من إقامة شعائرهم يستلزم أنَّ الصهاينة لايعبأون لهذه الأديان، وقوله حزن ابن البتول حجة أقوى من كلِّ الحجج الواردة في الخطاب، وهي دليل على مدى إسراف اليهود وامعانهم في قتل الأبرياء حتى لو كانوا أطفالاً.

يلحظ أن الحُجج تدرجت بحسب قوتها في خط متصاعد، فالاحتلال مثلته الحُجة الأولى، ثُمّ إهانةً المقدسات حُجة أقوى من الحُجة الأولى، والقمع، وتقيد الحرية ومنع إقامة الطقوس الدينية، حُجة أقوى مما سبقها من الحُجج، ثُمَّ القتل وهي الحجة الأقوى التي اتخذت من قمة السُّلم مكاناً لها؛ لتكون الأقرب إلى النتيجة المقصودة من الخطاب.

2 - الحجاج التنازلي:

قد يَضطر المتكلم إلى إيراد الحُجة الأقوى عند توجيه الخطاب إلى متلقٍ ما؛لأنَّهُ إذا وجه إليه الحُجة الضعيفة في الخطاب قد يَرُدها المتلقي بحُجة أقوى، مما يجعل المتكلم يتخذ موقفَ المُدافع بدلَ أنّ يكون هو من يوجه الخطاب، ويديرُ دفته نحو الوجهة التي يريد ويسمى الحِجاج طبقاً لهذه النمط حجاجاً تنازلياً «وهو حِجاجٌ من الأقوى إلى الأضعف تترتب فيه الحُجج تنازلياً، ويكتسي نجاعةً حجاجية أكبر عند توجيهه إلى المُتلقي الشاك أو الجاحد الذي لا تنفع معه الحجج الضعيفة في بداية الخطاب»[18]، والحِجاج طبقاً لهذا القانون يمثل استراتيجية خطابية، فالمتلقي إذا أذعن للحُجة الأقوى أصبح من اليسير أن يُسلمَ للحُجة الأقل قوة، ثُمَّ التسليم للحُجة الأقل[19]، وقد ورد هذا النوع من السلم الحجاجي في شعر الوائليّ في ثمانية وثلاثين موضعاً[20] من ذلك قوله:(البحر الخفيف)

فَهُنا يَبعَثُ الأَنينَ جَريحٌ
وَهُنا يَلفظُ الحياةَ شَهيدُ
وهنا طِفلَةٌ وطفلٌ يَتيمٌ
والأَسى والحرمان والتشريدُ
وَبَقايا أُمٍّ بَرَتها الرَزايا
بِبَقايا حُطام روحٍ تَجودُ
وعلى صَدرِها تَكوّرَ طفلٌ
كُلُّ ما فيه نابضٌ وَوَريدُ[21]

هذه الأبيات من قصيدة وصف فيها أحداث النكسة سنة(1967م)، وقد رتب الحُجج بحسب قوتها تنازلياً، فبدأ بالحُجة الأقوى، ثُمَّ الأقل قوةً، وصولاً إلى الحجة الأقل، ويمكن أن يوضع هذا الخطاب في السّلم الحِجاجي الآتي:

ن – (ضعف العرب في دفاعهم عن أنفسهم أوصلهم إلى هذه النتائج الأليمة والمفجعة)

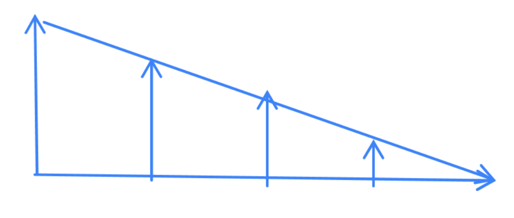
ح4 – (وعلى صَدرِها تَكوّرَ طفلٌ كُلُّ ما فيهِ نابضٌ وَوَريدُ)

ح3 - (وَبَقايا أُمٍ بَرتها الرَزايا ببَقايا حُطامٍ روحٍ تَجودُ)

ح2 - (وهنا طفلَةٌ وطفلٌ يَتيمٌ والأَسى والحِرمان والتشريدُ)

ح1 - (فَهُنا يَبعَثُ الأَنينَ جَريحٌ وَهُنا يَلفظُ الحياةَ شَهيدُ)

يلحظ أنَّ الحُجج الواردة في الخطاب تدرجت من الحُجة الأقوى التي بدأت بتصوير مشهد الجرح، والموت، ثُمَّ جاءت الحُجة الأقل قوة، وهي صورة الأيتام، والتشرد، ومهما يكن من قوة هذه الحجة إلاّ أنَّها لاتصل إلى صورة الموت والقتل الذي صورته الحُجة الأُولى، ثُمَّ الحُجة الثالثة التي تصور الحزن، والخوف، والألم، عندما يقع على امرأة، وهي كائن شفاف ضعيف لاطاقة له على ذلك، وهي حُجةٌ أقلُ من سابقتها قوةً، فالمرأة أكثر قوة من الطفل في تحمل موقف مثل هذا، أمّا الحُجة الرابعة وهي الأكثر ضعفاً بين الحُجج فتمثلها صورة الطفل الجائع الذي تعلق بما يمده بالحياة، لكنَّهُ وجدها أكثر منه جوعاً، وهي حُجةٌ أضعف من كل الحُجج؛ لأنَّ الجوع قد ينقضي في أي وقت.



ن ح4 ح3 ح2 ح1

يُشير المخطط إلى مسار الحُجج في الخطاب الحجاجي التنازلي الذي يبدأ من الحُجة القوية إلى الحُجة الأقل قوةً حتى يصلَ إلى الحُجة الأضعف، وهو بعكس الحجاج التصاعدي في بدايته، ونهايته، ففي الحجاج التصاعدي تكون الحُجة الأقوى هي الأقرب إلى النتيجة، في حين تكون الحُجة الأقوى هي الأبعد عن النتيجة في الحجاج التنازلي.

3 - الحجاج التراكمي: يسمى الحجاج طبقاً لهذا النمط حجاجاً تراكمياً ويعرَّف هذا النوع من الحجاج أنَّهُ الخطاب«الذي تتعدد فيه الحُجج وتتراكم دون مراعاة لمبدأ التدرج من الأقوى إلى الأضعف أو العكس، ودون مراعاة التفاوت الحاصل في القوة التدليلية لتلك الحُجج، فكل حجة تكون أقوى، وأكثر فعالية في اللحظة التي تستعمل فيها، وهو أكثر عفوية، وتلقائية من النوعين السابقين»[22] إنَّ الحجج طبقاً لهذا النمط والسلمية التي تربت فيها داخل السلم تشير إلى نوع من الأستقلال لكل حجة واردة في الخطاب والدليل على ذلك أنّ نقض أي حجة من الحُجج الواردة في الخطاب لايستلزم نقض الحجة التي تقع في مرتبة أعلى[23]، أو أسفل منها، وقد ورد الحجاج التراكمي في شعر الوائليّ في ستة وستين موضعاً[24]، ومن أمثلته في شعر الوائليّ قوله:(البحر الخفيف)

وصِغارٌ بَراعِمٌ وَجهُهُم لِلأُمِّ يَبدو بِهِ المُنى وَالعيدُ

يَطفَحُ البِشرُ بالسِماتِ وَيَزهو بالخُدودِالبَريقُ وَالتَوريدُ

مَسَحَتهُم كَفُّ النَبيّ بنورٍ فَمِنَ الجَدِّ ما رَواهُ الحَفيدُ

هَصَرَ اليُتمُ عُودهُم فألحّوا يَسألُ الأُمَّ عَن أَبيهِ الوليدُ

سألَ القَيَدُ هَل أولاءِ صِغارٌ أم

هُـمُ فـي الأغــلالِ دُرٌّ نَضيدُ[25]

هـذه الأبيـات مـن قصيدة كتبهـا فـي ذكـرى استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ذكر فيها مأساة كربلاء وما جرى على آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي هذا الخطاب يصور الوائليّ حالة

الأطفال في السبي، في تدرج حجاجي يمكن أن توزع حجَجُه وفق السلم الآتي:

ح5 - (سـأَلَ القَيَدُ هَل أَولاءِ صِغارٌ أَم هُـمُ في الأغلالِ دُرٌّ نَضيدُ)

ح4 - (هَصَرَ اليُتمُ عُودهُم فألحّوا يَسأَلُ الأُمَّ عَن أَبيهِ الوليدُ)

ح3 - (مَسَحَتهُم كَفُّ النَبيّ بنورٍ فَمِنَ الجَدِّ ما رَواهُ الحَفيد)

ح2 - (يَطفَحُ البشرُ بالسماتِ وَيَزهو بالخُدودِ البَريقُ وَالتَوريدُ)

ح1 - (وصغارٌبَراعِمٌ وَجهُهُم للأُمِ يَبدو بِهِ المُنى وَالعيدُ)

طبقـاً لهـذا النمـط مـن السلم الحجاجي فالحُجج الـواردة فـي السلم هـي حُججٌ تراكمية تتفق في أنَّها تتجهُ نحو قضية واحدة هي: وصف، وبيان حالة أيتـام، وسبايا آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد معركة الطف ويمكن أن يشكل هذا الأتفاق أطاراً دلالياً عاماً لهذه الحجج، ولكن طبقاً لقانون القلب فإنَّ أي نقض لأي حُجة من هذه الحجج لايشكل نقضاً للحُجة التي تعلوها مرتبةً في سلم الحجاج وليس هذا فحسب، بل إنَّ تبديل أي حجة في مكان الحجة الأخرى لايشكلُ فرقاً دلالياً لتسلسل هذه الحجج في الخطاب، وقد عُرِفَ الشعر العربي القديم بهذه الصفة، إذ يُشكل البيت الواحد وحدة دلالية قائمة بذاتها، لا ارتباط له بما يسبقه، ولا مايتبعه[26]، ومما يلحظُ في هذه الحُجج من دليل على استقلالها هو أنَّها تكاد تخلو من الروابط فيما بينها، مما يعزز صفة الأستقلال الدلالي لكل بيت(حُجة) في القصيدة.

مظاهر السلم الحجاجي في شعر الوائلي:

إنَّ الصبغة الحجاجية، وما تحتويه من عوامل إقناعية تبدو واضحةً جليةً في شعر الوائليّ، فهو خطيب، وفقيه، وأكاديمي، والتنوع العلمي الذي اكتسبه الوائليّ أضفى على قدرته اللغوية، والبيانية، والأسلوبية قوة أكبر، وهو أمرٌ جعله يوظف هذه الإمكانات في معالجة قضايا الأمة، وكانت معالجته لأكثر القضايا تأتي على شكل حجج متدرجة على وفق السلالم الحجاجية، ويبدو أنَّ سمة الخطابة ألقت بظلالها على شعره فبدت أكثر وضوحاً في هذا الجانب؛ إذ إنَّ الخطيب يهدف إلى إقناع متلقيه، ويعتمد على التدرج بتقديم الحجة بعد الحجة، ويدعِّمُ خطابه بتقوية كلِّ حُجَة، وجعلها أكثر تأثيراً من سابقتها، حتى تأتي في صورة سلم حجاجي، وتتجلى مظاهر السلم الحجاجي في شعر الوائليّ بثلاثة أساليب هي:

الأساليب اللغوية وتتضمن أُسلوبين هما:

1 - **تدرج الحجج بصيغة (أفعل التفضيل، وصيغ المبالغة).**

2 - تدرج الحجج بالروابطَ التي تدرج حججاً قوية.

3 - القياس الضمني.

1 - صيغة أفعل التفضيل:

من الصيغ التي تدل على المقارنة، وتقديم الشيء على غيره[27]، وهذا في الحجاج يدل على ارتقاء المرتبة الحجاجية للموصوف بهذا التفضيل، قال السكاكيّ (ت626هـ):«وأفعل التفضيل يخص الثلاثيات المجردة الخالية عن الألوان، والعيوب المبنية للفاعل نظير فعلى التعجب وله معنيان: أحدهما إثباتُ زيادة الفضل للموصوف على غيره، والثاني إثبات كل الفضل له»[28]، ولاتأتي دائماً لبيان الفضل، وإظهار المدح، بل قد تأتي دالةً على القدح، والذم كما في قولنا مثلاً:(خالدٌ أخبَثُ الناس)، وتأتي صيغة (أَفْعَل) لتدل على معنى المفاضلة بين شيئين مثل قولهم:(العدلُ أَفضلُ من الظلم)، أَو بين شخصين، مثل قولنا (عليٌّ أكرمُ من زيد)، وقد يعتمد المتكلم مع صيغة (أفعل) على حيلة لغوية تجعل دلالة قوله فضفاضةً؛ لينأى بنفسه عن العواقب المترتبة عن قوله، فيعتمد بعض الألفاظ مثل (آخر)، و(غير) مثلاً:(عليٌّ أذكى من غيره)، و(زيدٌ أفضلُ من أي شخصٍ آخر)[29].

وهنا أُحاول إثبات ما لهذه الصيغة من دلالة في تدرج الحُجج، وارتقائها من الأدنى إلى الأعلى، ومثال ذلك (عليٌّ أشجعُ من خالد، وخالدٌ أشجعُ من أحمد)، فهذه الحجج تدل على نتيجة مفادها أنَّ علياً أشجعُ منهما، ولبيان اتجاه الحَجج نحو النتيجة المقصود إليها بأفعلِ التفضيل في المثال السابق، يكون التدرج السلمي على النحو الآتي:

(ن) – (عليٌّ أشجعُ منهما مجتمعين)

ح2 – (خالدٌ أشجعُ من أحمد)

ح2 – (عليٌّ أشجعُ من خالدٍ)

وقد وردت صيغة أَفعل التفضيل في ستين موضعاً[30] في شعر الوائليّ، ومنها قوله:(البحر الطويل)

فَلَيسَت دمانا سلعَةً تَشتَرونَها
وَما للدّما أثمانُ عندَ ذوي اللُّبِ
وَلا لُعبةً يَلهو بها مُتَبطِّرٌ فَإنَّ
مَكانَ الدَمَ أَسمى مِنَ اللَّعب[31]

هذان البيتان من قصيدة عنوانها (سماسرة الحرب) قالها منتقداً فيها(الأمبريالية) الغربية ومن يسيرون في ركبها من الحكام الذين يتاجرون بدماء الشعوب.

يعتمدُ المحاجج على آليات خطابية خَطّطَ لها مسبقاً؛ لتتلاءمَ مع المغزى الحجاجي للخطاب، ولتكون أكثر قبولاً عند المستمعين، وتشق طريقها نحو الإقناع، ومن هذه الآليات كشف حُجج الخصم، والردُّ عليها، ويكون هذا الكشف إمّا بإظهارها ضمناً، أوصراحة[32] وقد جاءت الحجج في الخطاب السابق كاشفةً عن إظهارٍ ضمني لحجج الخصم، و تدرجها في السلم الحجاجي جاءَ بحسب الرد على حُجج الخصم، فيكون ترتيبها في السلم على النحو الآتي:

ن – (مَكانَ الدَمّ أَسمى مِنَ اللَعب)

ح2– (وَلا لُعبةً يَلهو بها مُتَبطِّرٌ)

ح1 – (لَيسَت دمانا سِلعَةً تَشتَرونَها)

جاء خطاب الوائليّ في صورة رَدٍّ عن حُجَج قُدّمَتْ ضمناً في الخطاب، فجعل المحاور، أَو الخَصم في مقام من عرض عليه شراء أرواح الناس، وإدخالها في حَربٍ ضروس كما يفعل أباطرة

الرومان الذين كانوا يستمتعون برؤية المقاتلين يقتل بعضهم بعضاً للمتعة فقط لا لشيء آخر، وقد جاءت الحجة المتضمنة ل(أفعل التفضيل) في أعلى السلم؛لأَنَّها تمثل الرادع الأكثر قوة في رد حُجج الخصم، و تمثل الجسر الدلالي المؤدي إلى النتيجة المضمرة في الخطاب، وهي:(دم الإنسان لا يقدر بثمن).

2 - الحجج التي تتضمن روابطَ مدرجة للحجج القوية:

من المؤشرات الحجاجية في الخطاب وجود الروابط الحجاجية التي تعمل على ربط الحجج بالنتائج، أو ربط الحُجج مع بعضها، ولكل رابط من هذه الروابط ما يميزه من غيره من الروابط، ويتَّضحُ ذلك من تتبع السياقات التي تردُ بها تلك الروابط ؛ والروابط الحجاجية لاتستقل بدلالة معينة، إنَّما تتحدد دلالتها داخل الخطاب تبعاً للسياق الذي ترد فيه، وبحسب الدراسات اللغوية في منهج الحجاج قُسمَتْ هذه الروابط على أقسام متعددة، ومنها الروابط التي تدرج حججاً قوية، ومن هذه الروابط (حَتّى) يدلُّ هذا الرابط على قوة الحُجة بعده، لاسيما إذا كان ما بعده متعلقاً بما قبله، والحجة التي تأتي بعده هي آخرُ ما في جعبة المتكلم من الحجج التي يعزز بها النتيجة المقصودة، وفي ذلك يقول د. أبو بكر العزاوي:« الأداة حتى تقدم الحُجة القوية باعتبارها(×) الحجة الأقوى من كل الحُجج، وباعتبارها الحُجة الأخيرة التي يمكن تقديمها لصالح النتيجة المقصودة »[33]، كقول أحدهم في بيان حالة رَجُل مسكين:هذا الرجل مسكين فقد تركه جيرانه، وأقرباؤه، حتى أبناؤه)، فالحجج الواردة في الخطاب متدرجة بحسب قوتها في السلم الحجاجي، لكن الحجة الأقوى هي التي وقعت بعد (حتى) وهي تخدم نتيجة واحدة هي (عقوق الأبناء لوالدهم)، ويدل المثال السابق على ما لهذا الرابط من مساهمة فاعلة في إنشاء خطاب حجاجي متدرج على وفق سُلَّم حجاجي يَنتقل من الحُجة الضعيفة إلى الحجة القَوية، ومن الحُجة القوية إلى الحُجة الأقوى، ومن تجليات هذا الرابط في شعر الوائليّ قوله:(البحر البسيط)

وَسائِلَ الصّبحُ عَن وَجهٍ ببسمَته
ما غامَ في وَجهِ مُرتادٍ وَلا أكتأَبا
يَنُمُّ عَن طُهرِ نفسٍ منكَ لاعُقَدٌ
فيها وَرُبَّـةَ نَفسٍ أُفعِمَت شَغَبا
رَوَّضـتَها في مسارِ الله فارتَفَعَتْ
وَأَوغَلَت فيه حتَّى اجتازت الحُجُبا[34]

هذان البيتان من قصيدة نظمها الوائليّ في تأبين الشيخ أحمد المظفر.

ويشتملُ هذا الخطاب على مجموعة من الحُجج التي صنفها الوائليّ بحسب قوتها، وأخذ يرتقي بها من الأدنى إلى الأعلى؛ لتؤدي مغزى الخطاب، وهو إظهار ما لهذه الشخصية من مزايا جعلتها ترتقي إلى مصاف الأولياء، وتبعاً لمسار الخطاب يكون ترتيب الحجج فيه على النحو الآتي:

ن - (خُلُقك، ودينك، وعلمك جعلك ترتقي إلى عالم الملكوت)

ح4 - (أَوغَلَت فيه حتَّى اجتازت الحُجُبا)

ح3 - (رَوَّضتَها في مسار الله فارتَفَعَتْ)

ح2 - (طُهرِ نفسٍ منكَ لاعُقَدٌ فيها)

ح1 - (وَجهٌ مبتسم ما غامَ في وَجهِ مُرتادٍ وَلا

أكتأَبا)

يلحظُ من التدرج السلمي أنَّ الحجج اتخذت مسارها تصاعدياً ليس من حيث قوتها الحجاجية فحسب، بل م بدلالتها المتضمنة في الخطاب إذ«إنَّ الحجاج في أغلب الأحيان يكون ضمنياً خفياً»[35]، والدلالة المتضمنة فيه هي الارتقاء من العالم الأرضي الملموس المحدود إلى السماوي المطلق، وهذا الأمر هو مغزى الخطاب، وما يهمُّ هنا هو بيان ما للرابط الحجاجي(حتى) من أَثر في هذا الأرتقاء، وصولاً إلى قمة السلم الحجاجيّ إذ تمثلُ الحجة التي تقع بعد هذا الرابط أقوى حجة يأتي بها المتكلم ليضمن وصول خطابه إلى مرحلة الإقناع، لاسيما إذا كان ما قبلها مرتبطاً بما بعدها، وقد جاءت هذه الحجة مطابقة للشرط المذكور، فالحجة التي قبلها(رَوَّضتَها في مسار اللهِ فارتَفَعَتْ) مع أنَّها تتكون من حجة ورابط هو الفاء الذي يدل على السبب، ونتيجة، إلاّ إنَّها تمثل حُجةً واحدة، وهي مرتكز اتكأَتْ عَليه الحجةُ التي بعد الرابط (حتى)، ومعنى هذا أنَّ ما قبل (حتى) مرتبطٌ بما قبلها، فهو أراد أن يقول: (روضت نفسك في طريق الله، فأوغلت بالدخول في ذلك الطريق حتى بلغت خرق الحجب، ووصلت إلى العالم الملكوتي) فسعيها في طريق الله هو من أوصلها إلى تلك المرتبة، وهنا يتضح الدور الحجاجي للرابط (حتى) في تسيّر الحجج في مسار سلمي ارتقى بالحجج من الحُجة القوية، إلى الحجة الأقوى، إلى الأكثر قوةً.

3 - القياس الضمني:

يُعَدُّ القياس الضمني من أَساليب القياس المنطقي، والأصل فيه ذكر مقدماته ونتائجه[36] لكنَّه في الخطاب الطبيعي يتعرض لحذف أحد أطرافه؛ وذلك لدلالة المذكور من أجزاء الخطاب على المضمر، ويقوم هذا النوع من الخطاب على مقدمتين، ونتيجة، ويُمثَّل له بالآتي: (مقدمة كبرى + مقدمة صغرى = نتيجة).

وقد يبقى الخطاب محتفظاً بمقدمتيه، ونتيجته إذا تطلب السياق ذلك، وربما ليكون أكثر قبولاً وإقناعاً للمتلقي، وهي استراتيجية حجاجية يَلجأُ إليها المتكلم ليجعلَ من مقدمات الخطاب والنتيجة التي يؤولُ إليها من المسلمات، ومثال على ذلك الشعار الذي رفعه الفرنسيون ضد الاحتلال النازي الذي كان مبنياً على قياس منطقي متكون من مقدمتين، ونتيجة، وكان نصه (الأقوياء ينتصرون) مقدمة كبرى (نحن أَقوياء) مقدمة صغرى (إذن نحنُ منتصرون) نتيجة[37].

إنَّ إظهار المقدمات، والنتيجة هي من الحالات الخاصة في المنطق الطبيعي، والأَكثر أَنْ يعمد المتكلم إلى حذف طرف، أَو طرفين من الخطاب المؤسس على القياس المضمر ويعتمد على قدرة المستمعين، وكفاياتهم الثقافية، واللغوية على إدراك الجزء، أَو الأَجزاء المضمرة[38] من الخطاب.

ولأَنَّهُ أَحد آليات السلم الحجاجي فهذا يرجع إلى خاصية التدرج التي ينتقل عبرها الخطاب من المقدمة الكبرى إلى الصغرى، ثم يصل إلى النتيجة، وكلُّ انتقالٍ من مقدمة إلى مقدمة يمثل ارتقاءً من درجة إلى درجة في السلم الحجاجي، وقد أَعمل الوائليّ الأسلوبَ شبه المنطقي في شعره في سبعة عشر موضعاً[39]، ومن تمثلات القياس

الضمني في شعره قوله: (البحر البسيط)

فَأنتَ نَفسُ رَسولِ اللهِ وَهوَ بِلا مِراء أَثمنُ مَخلوقٍ وَمَوجودِ(40)

هذا البيت من قصيدة طويلة نَظَمَها بمناسبة يوم الغدير، وفي هذا المقام أراد أن يثبت أحقية أمير المؤمنين علي بن أبي طلب(عليه السلام) في خلافته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، مُستَنداً إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٦١﴾[آل عمران: 61]، قال السيوطي (ت911ه) في تفسيره لهذه الآية، وفي سبب نزولها:« قَالَ جَابر: فدعاهما إِلَى الْمُلَاعنَة فواعداه إِلَى الْغَد، فغدا رَسُول الله صلى الله عَلَيْه وَسلم، وَأخذ بيد عَليّ، وَفَاطِمَة وَالْحسن، وَالْحُسَيْن، ثمَّ أرسل إِلَيْهِمَا، فأبيا أَن يجيباه وأقرا لَهُ فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَو فعلا لأمطر الْوَادي عَلَيْهِمَا نَارا، قَالَ جَابر: فيهم نزلت ﴿تَعَالَوْا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ الْآيَة قَالَ جَابر: أَنْفُسنَا، وَأَنْفُسكُمْ رَسُول الله صلى الله عَلَيْه وَسلم، وَعلي، وَأَبْنَاءَنَا الْحسن، وَالْحُسَيْن وَنسَاءَنَا فَاطِمَة»(41).

لقد كان اختيار الوائليّ للحجج، وما تضمنته من نتائج اختياراً موفقاً، وقد تدرجت هذه الحجج لتصل إلى نتيجة قصدها الوائلي في خطابه، مستندا في هذا التدرج إلى القياس الضمني، وعلى وفق هذا يكون التدرج السلمي على النحو الآتي:

أ - (رسول الله أثمن موجود) ب - (عليٌّ نفس رسول الله) ت - (عليٌّ أثمن موجود) ث - (رسول الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ج - (عليٌّ نفس رسول الله) ح - (عليٌّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم) (النتيجة) (عليٌّ أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله)، ويكون مخطط الحجج في السلم كما يأتي:

(ن) - (عليٌّ أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله)

ح6 - (عليٌّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم)

ح5 - (عليٌّ نفس رسول الله)

ح4 - (رسول الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم)

ح3 - (عليٌّ أثمن موجود)

ح2 - (عليٌّ نفس رسول الله)

ح1 - (رسول الله ﷺأثمن موجود)

اعتمد الوائليّ في خطابه على مقدمة كبرى ظاهرة في الخطاب، وهي قوله: (رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أثمن موجود) ومقدمة صغرى تمثلت بقوله: (أنت نفس رسول الله) وأخفى النتيجة التي يمكن استنتاجها من المقدمتين وهي: (أنت أثمن موجود)، والخطاب موجهٌ إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذا الخطاب بمقدمتيه، ونتيجته كان أساساً لخطابٍ مضمر في القصيدة التي بدأت عتبتها بعنوان (غدير علي)، ويدلُّ هذا العنوان على خطاب بصيغة القياس المضمر تأسس على الخطاب الأول، وهذا الأمر من الوسائل الحجاجية المعروفة، يقول د. محمد العبد:«بدهيٌّ أَنَّ كاتب الحجاج لايعرضُ أقواله دائماً في الصياغة، والترتيب المباشرين كالنموذج القياسي التقليدي، بل كثيراً ما يخالف في الترتيب ويزيدُ في العبارة بأحد الأقوال وربما توزعت أقوال القياس على

مساحات شتى من النص، ولكنَّ القارئَ الذي ينبغي لـهُ أَنْ يبذل مع النص الحجاجي جهداً خاصاً لن يعسر عليه معرفة الصلات بين تلك الأقوال وإنْ تناءت»[42]، ضمَّن الوائليّ قصيدته إشارات إلى ماجرى في يوم (غدير خُم) حين وقف الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمر المسلمين بالبيعة لعليٍّ (عليه السلام) بإمارة المؤمنين، وهذا الأمر غير مقتصر على روايات الإمامية، فقد رواه جمعٌ من أهل الحديث من المذاهب الأُخر ومن ذلك: «شَهِدتُ عَلِيًّا رضي اللَّه عَنه في الرَّحَبَةِ يَنشُدُ النَّاسَ: أَنشدُ اللَّهَ مَن سَمِعَ رَسُولَ اللَّه صَلى اللَّه عَلَيه وسَلمَ يقول يوم غدير خُم مَن كُنتُ مَولاَهُ فَعلِيٌّ مَولاَهُ لَمَّا قَامَ فشهد قَالَ عَبدُ الرَّحمن: فَقام اثنا عشر بدرياً كأَنّي أَنظُرُ إلى أَحَدِهم فقالوا: نَشهَدُ أَنَّا سَمِعنا رَسول اللّه صَلى اللّه عليه وَسَلم يَقول يوم غدير خُم: أَلستُ أَولى بالمُؤمنينَ من أَنفُسهم، وَأَزواجي أُمَّهَاتُهُم فَقُلنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللّه قال: فَمَن كُنتُ مولاهُ فَعَلِيٌّ مَولاهُ، اللهُمَّ والِ مَن والاَهُ، وَعَادِ مَن عَاداه»[43].

ما أشرت إليه من خطاب مضمر اعتمد على القياس، والتدرج السلمي، على المتلقي أَنْ يستنتج، ويستخلص هذه المقدمات، والنتائج من الخطاب الأول، ومن عنوان القصيدة، وما تضمنت في طياتها، فيكون ذلك الخطاب على وفق ما وضحته في المخطط السابق، ويكون ترتيب الحُجج في صورة مقدمتين، ونتيجة على النحو الآتي:

(رسول الله أَولى بالمؤمنين من أَنفسهم) مقدمة كبرى مضمرة (عليٌّ نفس رسول الله) مقدمة صغرى ظاهرة، (عليٌّ أَولى بالمؤمنين من أنفسهم)، نتيجة مضمرة، عمدَ الوائليّ إلى هذا الأسلوب معتمداً على الكفاية الثقافية، والمعرفية للمتلقي، فبهذه الكفاية استطاع الوائليّ أَن يوجه خطاباً حجاجياً مدعَّماً بالوسائل الإقناعية التي لايمكن ردها، وهذه الوسائل مسلَّم بها من كل الأطراف، وهي:

1 – القرآن الكريم.

2 – النقل، ويتمثل بالأحاديث النبوية صحيحة السند.

3 – استنتاج عقلي يعتمد على القياس المضمر.

هوامش البحث

(1) ينظر:الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله:د.رضوان الرقبي: عالم الفكر: ع 2: م40:اكتوبر2011:93.

(2) الحجاج في كلام الإمام الحسين (عليه السلام):33.

(3) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي:276.

(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:1/333.

(5) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي:تح: سامي بن محمد سلامة:1/686.

(6) اللسان والميزان أو الكوثر العقلي:277.

(7) ينظر: اللغة والحجاج:130.

(8) ينظر: نظرية نسقية في الحجاج المقاربة الذريعية الجدلية:38.

(9) ديوان الوائلي:269.

(10) ينظر: مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج:169.

(11) يُنظر: الجاج في الخطاب السياسي:371.

(*) مما تجدر الاشــارة إليه أنّ الحجج تنتظم في السلم الحجاجي وفق علاقة تراتبية تتخذ ثلاثة أَشكال، وقد ذهب أغلب الباحثين في الحجاج اللغوي إلى التزام الترتيب المنطقي الذي سار عليه الباحث د.طه عبد الرحمن في تقسيمه لقوانين السلم الحجاجي التي تمثل أشكال انتظام الحجج في الخطاب وفق التصور المنطقي إلى ثلاثة قوانين، قانون الخفض:و«مقتضى هذا القانون أَنَّهُ إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإنَّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها»، وقانون تبديل السلم الذي يقتضي: «إذا كان القول دليلاً على مدلول معين، فإنَّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله»، وقانون القلب الذي يقتضي «إذا كان أحدُ القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإنَّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول» ينظر: اللسان والميزان أَو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن: 277 - 278. إنَّ منطق اللغة الطبيعي ليس به حاجة إلى تلك الاساليب التي تقتل شفافية اللغة، وتنفي أثرها الجمالي، والنفسي على المتلقي ولانبتعد كثيراً إذا قلنا أنَّ الحجاج على وفق نظرية (ديكرو) هو إِنَّ اللغة هي الحاملة لهذا الحجاج، والمنتجة له، والتحليل اللغوي وفق منهج الحجاج يتبنى رؤية وصفية للخطاب، من دون اللجوء إلى أساليب أُخر ،ولا يحتاج أنَّ نثقل الخطاب بتلك الأَساليب التي تتماشى مع منهج آخر لامع منهج الحجاج في اللغة؛ لذلك آثر الباحث أن يتبنى وجهة نظر صادرة من منهج وصفي تحليلي لترتيب الحجج في الخطاب يرى أَنَّها أقرب للغة منها إلى المنطق، وقد جاء هذا التقسيم اللغوي عند الباحث د. عبد العالي قادا، في كتابه الحجاج في الخطاب السياسي إذ قسم الباحث أشكال السلم الحجاجي إلى ثلاثة أقسام: حجاج تصاعدي، وحجاج تنازلي، وحجاج تراكمي، لذا أتفق مع د.عبد العالي قادا في تقسيمه لدرجات الخطاب في السلم، وعملت على ما سار عليه في هذا الجانب.

(12) ينظر:الحجاج في الخطاب السياسي:371.

(13) ينظر: المصدر نفسه:371.

(14) ديوان الأفوه الأودي: صَلاءة بن عمرو بن مالك اليمني:تح: محمد ألتونجي:64.

(15) ينظر: ديوان الوائلي:45، 46، 47، 49، 52، 56، 58، 60، 64، 67، 70، 73، 74، 75، 76، 79، 85، 87، 88، 89، 90، 92، 94، 98، 99، 104، 108، 109، 110، 111، 112، 117، 119، 128، 129، 142، 148، 150، 152، 154، 156، 159، 162، 164، 167، 172، 177، 179، 183، 188، 192، 193، 196، 210، 217، 218، 220، 222، 223، 226، 227، 235، 237، 241، 242، 248، 252، 254،255، 257، 258، 259، 263، 264، 265، 267، 269، 270، 277، 278، 279، 280، 284، 288، 300، 304، 307، 310، 313، 316، 323، 330، 332، 334، 337، 341، 342، 343، 351، 360، 365، 367، 370، 371، 379، 389، 392، 395، 398، 403، 404، 406، 411، 413، 420، 422، 424، 426، 427، 429، 431، 433، 334، 438، 439، 440، 441، 443، 445، 452، 458، 466، 467، 468، 481، 486، 488، 495، 501، 504، 505، 508، 510، 513، 522، 525.

(16) المصدر نفسه:406 - 407.

(17) ينظر: آليات الحجاج وأدواته:عبد الهادي بن ظافر الشهري:بحث ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته:1/97.

(18) الحِجاج في الخطاب السياسي:373.

(19) ينظر:المصدر نفسه:373.

(20) ينظر: ديوان الوائليّ:47، 53، 54، 65، 66، 72، 88، 106، 111، 116، 143، 156، 159، 165، 168، 169، 172، 186، 190، 200، 201، 204، 212، 218، 221، 239، 251، 270، 275، 279، 286، 300، 307، 312، 319، 362، 384، 412.

(21) المصدر نفسه:261 - 362.

(22) الحِجاج في الخطاب السياسي:374.

(23) ينظر: آليات الحجاج وأدواتــه: عبد الهادي بن ظافر الشهري ،بحث ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته 1/98.

(24) ينظر:ديوان الوائليّ: 51، 81، 92، 113، 116، 121، 123، 130، 148، 166، 167، 171، 175، 176، 184، 190، 206، 210، 227، 232، 243، 246، 249، 252، 258، 259، 268، 270، 271، 272، 276، 281، 283، 288، 294، 301، 302، 304، 317، 327، 329، 333، 337، 346، 359، 360، 369، 372، 376، 388، 393، 422، 430، 436، 443، 445، 455، 461، 464، 474، 480، 483، 501، 506، 518.

(25) المصدر نفسه:113 - 114.

(26) ينظر:وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي: حياة جاسم:269.

(27) قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب: محمد محمد يونس علي: 59.

(28) مفتاح العلوم:51.

(29) ينظر:آليات الحجاج وأدواته:عبد الهادي بن ظافر الشهري:بحث ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته:1/118.

(30) ينظر: ديوان الوائليّ:48، 56، 58، 66، 71، 81، 82، 87، 91، 95، 96، 97، 106، 112، 126، 143، 150، 154، 157، 158، 159، 164، 167، 175، 176، 177، 199، 226، 229، 231، 235، 240، 258، 272، 274، 275، 283، 285، 286، 307، 314، 317، 328، 330، 331، 341، 351، 353، 356، 364، 367، 373، 379، 387، 414، 440، 482، 493، 523،511.

(31) ديوان الوائليّ:225 - 226.

(32) ينظر: الحِجاج في الخطاب السياسي:221.

(*) هكذا وردت في الأصل والصواب:بوصفها.

(33) اللغة والحجاج:85.

(34) ديوان الوائلي: 488.

(35) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه:438.

(36) ينظر: الحِجاج في الخطاب السياسي:181 والنص والخطاب والإتصال:222.

(37) ينظر: مدخلٌ إلى الحجاج افلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان:د.محمد الولي (عالم الفكر) (مجلد40) (العدد2):30.

(38) ينظر: الحِجاج في الخطاب السياسي:182.

(39) ينظر: ديوان الوائليّ: 48، 52، 53، 92، 100، 112، 120، 129، 152، 156، 183، 258، 266، 373، 383، 392، 458.

(40) المصدر نفسه: 66.

(41) الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي:2/231.

(42) النص والخطاب والاتصال:221.

(43) مسند الإمــام أحمد بن حنبل: تـح: شعيب الأرنؤوط وآخرون2/269، وينظر: سنن ابن ماجه:1/45،و فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل:2/569.

روافد البحث

- القرآن الكريم
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت774هـ):تح: محمد حسين شمس الدين: دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان:ط1: 1998.
- الحجاج في الخطاب السياسي:د. عبد العالي قادا: دار كنوز المعرفة: عمّان – الأردن: ط1: 2015.
- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأَساليبه:د. سامية الدريدي:عالم الكتب الحديثة: إربد الأَردن: ط2: 2011.
- الحجاج مفهومه ومجالاته: حافظ اسماعيل علوي: عالم الكتب: إربد الأَردن: ط1: 2010.
- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أَبي بكر جلال الدين السيوطي(ت911هـ):تح:د. عبد الله بن عبد المحسن التركي: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية: القاهرة – مصر:ط1: 2003.
- ديوان الأفوه الأودي: صَلاءة بن عمرو بن مالك اليمني:تح: محمد ألتونجي: دار صادر بيروت

- لبنان:ط1: 1998.

- سنن ابن ماجه:أ بو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ): تح: شعيب الأرنؤوط و عادل مرشد و محمَّد كامل قره بللي و عَبد اللّطيف حرز الله: دار الرسالة العالمية:ط1: 2009.
- فضائل الصحابة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل:تح: د. وصي الله محمد عباس: مؤسسة الرسالة: بيروت – لبنان:ط1: 1983.
- قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب: محمد محمد يونس علي:دار الكتاب الجديد المتحدة:بنغازي –ليبيا: ط1: 2013.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت538هـ):تح:عبد الرزاق المهدي:دار احياء التراث العربي: بيروت – لبنان:ط2: 2001.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: د.طه عبد الرحمن:المركز الثقافي العربي:الدار البيضاء: المغرب: ط2006:2.
- اللغة والحجاج: د.أبو بكر العزاوي:العمدة للطباعة: الدار البيضاء المغرب: ط1: 2006.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل(241هـ):تح: شعيب الأرنؤوط عادل مرشد وآخرون: مؤسسة الرسالة: ط1: 2001.
- مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت 626هـ): ضبطه وكتبَ هوامشه وعلقَ عليه: نعيم زرزور:دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان: ط2: 1987.
- مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخية إلى الحجاج:د. حسن مسكين:مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر: بيروت - لبنان: ط1: 2010.
- النص والخطاب والاتصال:د.محمد العبد: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي:القاهرة مصر: ط2005:1.
- نظرية نسقية في الحجاج المقاربة الذريعية الجدلية:فرانز فان إيمرن: روب غروتندورست: ترجمة عبد المجيد جحفة: دار الكتاب الجديد المتحدة: بنغازي – ليبيا:ط1: 2016.
- وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي: حياة جاسم:دار الحرية للطباعة: بغداد – العراق:د ط: 1972.

الرسائل والأَطاريح

- الحِجاج فِي كلام الإمام الحسين (عليه السلام): أطروحة دكتوراه:عايد جدوع حنون: إشراف الأستاذ المساعد الدكتور:حامد ناصر الظالميّ: جامعة البصرة: 2013.

المجلات

- مجلة عالم الفكر: العدد2:المجلد: 40:الكويت: ديسمبر2011.